



| | |
|---|---|
| العنوان: | دراسة حول الجذور الاجتماعية للمقاومة الشعبية المغربية |
| المصدر: | مجلة أبحاث |
| الناشر: | عبدالله ساعف |
| المؤلف الرئيسي: | تافسكا، أحمد |
| المجلد/العدد: | س 1, ع 2 |
| محكمة: | نعم |
| التاريخ الميلادي: | 1983 |
| الشهر: | أبريل - يونيو |
| الصفحات: | 49 - 62 |
| رقم MD: | 504643 |
| نوع المحتوى: | بحوث ومقالات |
| قواعد المعلومات: | EduSearch |
| مواضيع: | المقاومة المسلحة، المقاومة الشعبية، المغرب، التاريخ الاجتماعي، الجوانب الاجتماعية، الاقتصاد الاستعماري، جليش |

دراسة

# حول الجذور الاجتماعية للمقاومة الشعبية المغربية

أحمد تافسكا

ان مقاربة الجذور الاجتماعية للمقاومة الشعبية المغربية ميدان شائك دون شك، وليست مواجهته بمستهلكة في ظل الظروف الراهنة للبحث السوسيو سياسي والتاريخي للمغرب.

ان الاصرار على معالجة هذا الموضوع، لا يعني اننا نستهين تقدير المتطلبات الشاقة التي يفرضها موضوع من هذا القبيل سواء على مستوى ادوات البحث حيث تبرز عدة حواجز تقنية وسياسية تجعل الاحاطة بهذا الميدان صعبة، أو على المستوى السوسو سياسي، وكل هذه الاعتبارات تجعل كل منطق في هذا الموضوع صعبا الامر الذى سيجرنا الى تلطيف (تعديل) طموحاتنا مقتصرين، بكل أسف، على الامكانيات الراهنة.

لهذا فقد اخترنا توجيه بحثنا أساسا على الزاوية التاريخية، لابراز الاصول الاجتماعية للكفاح الشعبي في المغرب وتطوره.

وفق هذا المنطق اعتمدنا على ثلاثة أنواع من الوثائق :

١ ــ موءلفات معروفة بشكل واسع حول هذا الموضوع.

٢ ــ أبحاث جامعية حديثة نسبيا.

٣ ــ وثائق لجيش التحرير الوطني المغربي لم تستغل حتى الان.

ورغم أهمية وثائق جيش التحرير هذه (بما فيها مذكرات بعض المسوءولين عن جيش التحرير (١)) والتي، لا نزعم أنها تغطي كل المرحلة المعنية، أو أنها تعطي الجواب على كل التساوءلات المطروحة حول هذه المرحلة من تاريخ المغرب، فان استغلالها سيمكننا من القاء نظرة جديدة على هذه المرحلة

---

(١) لم تحرر هذه المذكرات من قبل المعنيين بالامر. بل حررت من طرف رفاقهم الذين يحررون باللغة العربية.

لقد استندت سياسة الحماية في المغرب طيلة قرابة نصف قرن على ثلاثة أشكال من العنف :

١ ــ العنف المسلح .

٢ ــ العنف الاجتماعي .

٣ ــ العنف السياسي .

ويغطي العنف المسلح مرحلتين : تمتد الاولى من سنة ١٩١٢ الى ١٩٣٤، وتوافق تحقيق السلام، والثانية من سنة ١٩٥٢ الى ١٩٥٦ وتوافق التحرير .

ان العنف الاجتماعي والسياسي تواصل دون هوادة طيلة مرحلة الحماية .

في الواقع اذا كانت معاهدة الحماية قد أخضعت المخزن للسلطة الفرنسية، فانها في المقابل أحيت المقاومة الشعبية ليس ضد التدخل الفرنسي فقط بل ضد المخزن نفسه .

ان التبعية السياسية والادارية والاقتصادية التي حسم فيها عقد الحماية، أصبح تطبيقها مستحيلا دون خضوع السكان، خاصة السكان القرويين، حيث يتم اللجوء الى القوة .

وستصبح هذه السياسة امرا واقعا بفضل استعمال عناصر محلية في الادارة والجيش، باللجوء خاصة الى الوجهاء وزعماء الزوايا . وحسب جرمان عياش فانه كان على "اليوطي" في المغرب شراء ضمائر القواد والوزراء وزعماء الزوايا . . . حيث كانت تكفي بضعة أكياس من النقود والوعود لاقناعهم" (٢) .

وهكذا خلقت ادارة الحماية "قوة بفضلها أمكنها اخضاع كل بلاد السيبة في الجنوب للسلطة الفرنسية، واصبحوا بارونات اقطاعيين يساندهم الجيش الفرنسي، وفي المقابل يمنحون مساندتهم غير المشروطة لقوة الاحتلال . وكانوا يتلقون أوسمة فرنسية، ويحسون أنهم يشكلون جزءا من فرنسا، وكانت أيديهم مبسوطة شرط عدم الاقتتال فيما بينهم" (٣) .

لقد تناول الكاتب والصحفي الانجليزى (كافان ماكسويل دون تحفظ أساليب هؤلاء الاقطاعيين، متعرضا للمدعو "المتوكي الذى أبان عن نفور ملحوظ للمحاربة في الجنوب بعد أن مني بهزيمة منكرة جنوب الاطلس قبل سنتين . . . وعكف على النهب والمجازر عبر السهول الممتدة بين مراكش والبحر . . . حيث كان ينهب الرؤوس بالالاف" (٤) .

ــ وفي نفس الوقت قام التهامي الكلاوى "بنهب وسجن كل الذين كانوا

(٢) Germain Ayache. « Les origines de la guerre du Rif ». Ed. Smer Rabat 1981 Pp 60. 61

(٣) GAVIN MAXWELL : El Galaoui, dernier seigneur de l'Atlas. Ed Fayard, 1968, p 118

(٤) نفس المصدر، ص ١١٩ .

ضدد . . . وخرب منازل رؤساء العائلات المتهمين وصادر حريمهم ، وكبلهم بالسلاسل ورمى بهم في الزنازن حيث قضى معظمهم نحبه " (٥) .

ان دخل الكلاوى حمو بن المدني ـ قائد تلويت وورزازات وتنغير وزاكورة ـ خُصص لتسوية المشاكل عبر نهج وسيلة التطويق و الخنق والتدمير الشامل . وفي الحقيقة، لقد هدم بالنار قصبة بكاملها لفخذ ينحدر من منطقة تلويت ، وأحرق سكانها أحياء وحتى النساء والاطفال " (٦) .

وقد منح ليوطي لهؤلاء الاعيان كامل حرية التصرف تجاه السكان، وقد رفض منذ بداية الحماية تحديد سلطاتهم (٧) ، لانه كان يعتبر أن نجاح فرنسا في الجنوب يرتبط بهؤلاء القياد والباشاوات الذين لم يكونوا مجرد أشخاص عاديين يشتغلون لحساب قوة خارجية بل كانت لهم شهرة في مناطقهم الخاصة (٨) ، وحصلوا على السلطة بالقوة، وجعلت منهم هذه الاخيرة صنفا محظوظا حيث استقطبهم المخزن ليستثمر نفوذهم لدى السكان ، وفي المقابل منحهم المخزن امتيازات خيالية، الشيء الذى زاد ثرائهم ووزنهم داخل جماعاتهم (٩) . وتراكم هذه الامتيازات يفسر انضمام كل هذه الفئات من الاعيان لمشروع الحماية ومعارضتهم اللاحقة للحركة الوطنية عندما احتدم الكفاح من أجل الاستقلال .

وموازاة لهذا النشاط العسكرى الذى شن بمشاركة عناصر محلية برزت هوية اخرى ضمن كبار الملاك وعملاء ادارة الحماية ، خاصة منهم الاطر الادارية المحليين المختارين من ضمن عائلات معروفة بطاعتها لفرنسا، وفي نفس الوقت تصاعد نشاط المعمرين الذين استكملوا كميات كبيرة من الاراضي الصالحة للزراعة في اطار سياسة الاستعمار الزراعي التي ادت الى تملك المعمرين الفرنسيين لاكثر من مليون هكتار.

في سنة 1950 لم تكن تمثل نسبة الفلاحين المغاربة اكثر من 10 في

---

(٥) نفس المصدر ص ١١٦ .

(٦) Eric Witvoet : La pratique administrative du protectorat français au Maroc 1912 -1956, Mémoire (roneotypé) de l'institut d'Etudes politiques, Section Services Publiques, Université de Bordeaux. Année 1979 - 80. p. 114.

(٧) خيرى فارس. تنظيم الحماية الفرنسية بالمغرب ١٩١٢ – ١٩٣٩ . ورد ذكره لدى جبابدى لطيفة وآخرون . المقاومة والحركة السياسية والنقابية ، رسالة مقدمة لكلية الآداب ، جامعة محمد الخامس ١٩٨٠ – ١٩٨١ ص ٢٧ .

(٨) Lecoz : « Le Gharb, fellah et colons », CURS Rabat 1964, Tome I et II.

(٩) J. Waterburry : « Le commandeur des croyants. La Monarchie marocaine et ses élites ». Ed. PUF Paris 1975, p. 118.

المائة من السكان القرويين وتملك حوالي اربعة ملايين هكتار (١٠) .

من ضمن هؤلاء كان التهامي الكلاوى باشا مراكش يملك وحده ١٦٠٠٠ هكتار في منطقة مراكش، ويجب اضافة ملكيات اخرى كبيرة في وادى درعة ودادس (١٢) . والعيادى قائد الرحامنة جمع بدوره تراثا عقاريا بلغ ٤٥٠٠٠ هكتار وأمهروق ٥٦٠٠٠ هكتار (١٢) .

أما المعمرون الاوروبيون فقد جنوا بدورهم أرباحا خيالية من استغلال الملكيات الكبيرة التي حصلوا عليها أثناء الحماية . وهكذا فمن ١٩٥١ حتى ١٩٥٥ ارتفعت هذه الارباح الى ١٨،٢ مليار فرنك ، أى ٧٠٠٠٠٠ فرنك سنويا بالنسبة لكل شخص (١٣) . أما رجال الصناعة ورجال الاعمال فقد استحوذوا على القطاعين الصناعي والتجارى خاصة قطاع المعادن . وقد استقطب هذا الاخير رؤوس أموال كثيرة نظرا لمردوديته العالية .

وحتى حدود الحرب العالمية الثانية، لم تكن الصناعة التحويلية موجودة البتة في النشاط الاقتصادى للبلاد ، فعواقب اندلاع الصراع الدولي ٣٩ — ٤٥ حول أوربا والمستعمرات الفرنسية أدت الى تنمية الاستثمارات في قطاع الصناعة التحويلية .

لقد وضعت ادارة الحماية رهن اشارة المعمرين ورجال الاعمال الاوربيين الامكانيات المالية للدولة المغربية، سواء من خلال اقامة بنية تحتية أساسية أو دراسات تقنية (١٤) ، أو على شكل مساعدات مالية كالقروض والتسهيلات التجارية، والكل متوج بتشريع مناسب .

هكذا تعززت قوة هذه الاقلية الاوروبية في النظام الادارى للحماية، لدرجة أن مصير المقيم العام اصبح مرتهنا لارادتهم، خاصة مع مجيء الجنرال

---

(١٠) منها ١٨٠٠٠٠ هكتار ل ٧٥٠٠ شخص، حسب احصائيات ١٩٥١، عدد الوحدات الفلاحية التي يملكها المغاربة تتراوح ما بين ٨٠٠٠٠٠ الى ٩٠٠٠٠ كما ان البعض من هذه الوحدات كانت مساحته تغطي عدة آلاف من الهكتارات .

(١٠) Conf. F. Gilor : « L'exploitation agricole au Maroc », Maroc 54, p 126.

(١١) PASCON : Le Haouz de Marrakech. Les éditions marocaines et internationales de Tanger. T I ; pp. 326 - 340, cité par E. Witvoet op. 130 - 131.

(١٢). Waterburry, op. cité, p. 136.

(١٣) الهدف : اسبوعية ، عدد ٢٦ — ٢٢ — ٨ — ١٩٦٤ ص ٤ .

(١٤) من ١٩١٤ الى ١٩١٨ ، الطرق ، الموانئ ، السكك الحديدية ، المواصلات السلكية واللاسلكية ، المطارات المدنية ، المجمعات الكبيرة لتوليد الماء ، وقنوات الرى ، تتطلب ٨٠ في المائة الى ٩٠ في المائة من الاستثمار العمومي . من ١٩١٩ الى ١٩٥٣ ، ٦١ في الماىة من الانفاق العمومي خصص للتجهيز ، و ٨٤ في المائة للاستثمار في القطاع الشبه العمومي . انظر

(١٤) Abdelaziz Belal : les invesrtissements au Maroc 1912 - 1964 ; ed. Maghrebines, Casa 1980, p. 43.

"جوان " سنة ١٩٤٧ ·

فرجال الصناعة الفرنسيين الكبار اصبحوا شخصيات مرموقة في المغرب، لان مصالحهم كانت تعتبر بالضرورة مرتبطة بمصالح فرنسا (١٥) ·

وتضاعف تأثيرهم بكثير مع الجنرال "غيوم Guillaume" الذى حل محل الجنرال "جوان" Juin حتى هيمن كليا على الاقامة العامة كلها، وراقب قنوات التخاطب مع باريز · وتجلت هذه السلطة بوضوح من خلال الموقف الذى اتخذته الاقامة لصالح حركة الباشوات والقياد ضد السلطان محمد بن يوسف وعدم طاعته في تنفيذ تعليمات وزير الشؤون الخارجية (١٦) ·

وهكذا تحولت الاقامة العامة الى نقطة التقاء لمصالح الاقطاعيين المحليين والمعمرين ورجال الاعمال الاوربيين، والذين اغتصبوا رسميا السلطة بانقلاب ٢٠ غشت ١٩٥٣ حيث خلعوا السلطان محمد بن يوسف ونصبوا محمد بن عرفة ، الملك الدمية ·

---

## العواقب الاجتماعية للاقتصاد الاستعمارى في المغرب

---

ان هذا الاستغلال المزدوج، الاقطاعي من جهة والاستعمارى من جهة أخرى سينعكس من زوايا مختلفة على المجتمع المغربي وأحيانا مع عوامل سلبية · فالسباق من اجل التملك العقارى أدى الى تمركز قوى للاراضي بين أيدى أقلية صغيرة (١٧) ·

وعواقب وضع من هذا القبيل أدت بسرعة الى تهميش أغلبية السكان القرويين المغاربة داخل النظام الاقتصادى الاستعمارى، وانضافت عليها مختلف الازمات والكوارث الطبيعية ·

في المدن، شهد المجتمع الحضرى أزمة ليست بأقل خطورة من تلك التي شهدها المجتمع القروى، والناتجة أيضا عن تهميش سكان المدن المحليين بالنسبة للاقتصاد الحضرى حيث سيطرت أقلية صغيرة من الاوربيين على معظم الانشطة الصناعية والتجارية، بحكم مواردها المالية، وخربت بذلك القطاع التقليدى ·

---

(16) Georges Spillmann, « Du protectotorat à l'indépendance, Maroc 1912 - 1955 ». Ed. Plon 1967. Paris. p. 165.

(١٧) حسب احصائيات ١٩٥٢، ٧،٥ في المائة من سكان البوادى المغربية كانت تملك ١،١٨ مليون هكتار، من سنة ١٩٥١ الى ١٩٥٥ الدخل المتوسط للفلاح المغربي لم يكن يتجاوز ٧٠٠٠ فرنك في السنة، بيد ان حصة المواطن الفرنسي في الدخل الوطني عند نهاية الحماية كان يبلغ ٩٥٠ الف فرنك مقابل ٢٧٥ الف فرنك في فرنسا، في حين أن حصة ٨ في المائة من سكان البوادى المغربية شكلت ٣٣،٣٣ في المائة من الدخل الوطني في مجال الفلاحة، انظر في هذا الموضوع

(17) UNFP : « La politique économique et financière à travers le budget de 1964 », éditions maghrebines, Casablanca, 1964, P. 64.

وسيتم هذا التهميش للعناصر الوطنية ليشمل حتى ميدان التربية، حيث اقامت الحماية نظاما تمييزيا هدفه الاول الحيلولة دون وصول الوطنيين الى التعليم (١٨) . ومن هنا فان مشاركة الوطنيين في الادارة كانت ضئيلة للغاية (١٩) . فقد بلغ عدد المغاربة في الادارة عند نهاية الحماية ١٦٥ شخصا ضمن صنف الاطر العليا و ٦٥٠ ضمن الاطر الرئيسية منهم ٤٥٠ معلما (٢٠) .

وعلى المستوى السياسي وضعت ادارة الحماية مجموعة من الاجراءات التشريعية والتنظيمية لمنع أي تطور سياسي للمجتمع المغربي . وعملت على تحديد حرية تكوين الجمعيات وحرية التعبير والرأى، وفي آخر المطاف أقامت حالة الحصار من سنة ١٩١٤ حتى نهاية الحماية (٢١) .

وبالموازاة لهذه الاجراءات القمعية، انفتح القطاع الصناعي والتجاري الاوروبي على العناصر الاقطاعية المغربية، حيث برز على رأسهم الحاج التهامي الكلاوى الذى بلغت حصة مشاركته مليارين من الفرنكات، مع امتلاكه لاسهم في شركة "الومنيوم نورد افريكان " Aluminium Nord Africaine " التى "بفضل الكلاوى حصل رئيسها على القسط الاكبر من الامتيازات المنجمية في المغرب" (٢٢) . وزيادة على ذلك كان الباشا الكلاوى يملك العديد من الاسهم في عدة شركات، منها الشركة المنجمية لبونازار "Bonazar" وشركة التعدين والكيمياء الشمال افريقية وشركة الزيتون (٢٣) .

ويدعي "كافان ماكسويل Gavin Maxwell" أن الكلاوى تمكن بعد سنة ١٩٢٠ "من مراقبة اربعة صحف "بريد المغرب Le courier du Maroc" و"صدى المغرب Echos du Maroc" و"المغربي الصغير Le Petit Marocain"

---

(١٨) طوال عهد الحماية، بلغ عدد الحاصلين على شهادة الباكالوريا من المغاربة ١١٥٥، من بينهم ٦٢٥ يهودى مغربي، في مقابل ٧٣٥٣ فرنسي عدد الشواهد الجامعية المغربية لم تتجاوز ٨٩، منها ٣٦ طبيب، ٥٩ اطباء للاسنان و ٤٨ محامي، هنا ايضا حصة اليهود المغاربة تبدو كبيرة : ١٧ طبيب، ٣ اطباء للاسنان و ٢١ محامي، انظر
(١٨) Voir Georges Spillmann, op. 153 - 154. J. et S. Lacouture : Le Maroc à l'épreuve, édition Seuil 1958, Paris, p. 248 J. Watterburry, op. cité, p. 107 et Belal, op. cité, pp. 116 et 111.

(١٩) في سنة ١٩٥٩، اى بعد ثلاث سنوات على الاستقلال، العنصر الاجنبي في الادارة المغربية كان يمثل ٤٩،٣ في المائة، اطر عليا و ٤٠ في المائة اطر رئيسية، و ٦٧،٩ اطر ثانوية، بينما مثل المغاربة في المستويات المتدنية نسبة ٩٩،٧ في المائة.

(٢٠) G. Spillmann, op. cité, p. 154.

(٢١) احمد تفسكا، تطور الحركة العمالية بالمغرب ١٩١٩ — ١٩٣٩ دار ابن خلدون بيروت، ١٩٨٠، ص ١١٥ — ١٤٩.

(٢٢) G. Maxwell, op. cité, page 158.

(٢٣) G. Maxwell, op. cité, page 157 et A. Ayache « Le Maroc », op. cité, page 204.

والمراقب المغربي La vigie Marocaine " والتي كان من بين كبار ملاكها PIERREMAS رجل الاعمال الكبير والمتصرف المفوض لشركة الالمنيوم الشمال افريقي .
وفي ظل هذه الظروف وجدت فئة التجار المغاربة نفسها مهددة في وجودها، وكانت مجبرة على الدفاع عبر محورين، على مستوى الحركة الوطنية أولا حيث كان لها التفوق ومن ثم التوجه للدفاع عن مصالحها المتعلقة بالمطالبة بالاصلاحات (١٩٣٤)، ثم المطالبة بالاستقلال سنة (١٩٤٤) . والمحور الثاني هو المجال الزراعي حيث سيركز التجار المغاربة التي أقصيت عن النشاط الصناعي والتجارى خاصة الاستيراد والتصدير، مجهودها على شراء الاراضي من الفلاحين الذين سحقتهم الازمات المتتالية التي عرفها المغرب آنئذ والتي تفاقمت بفعل الكوارث الطبيعية (الفيضانات والجراد والجفاف والاوبئة ... الخ) وكذلك بشكل عام السياسة الاقتصادية للحماية.

وستمد هذه الفئة مصلحتها الى القطاع التقليدى الذى همشته الحماية، والذى يوجد بدوره في أزمة بفعل منافسة المواد الاجنبية والرأسمال الخارجي المستثمر في هذا القطاع. وكان الصناع التقليديون مجبرين على دفع تكاليف توجه من هذا القبيل (٢٥) . ويجب التنبيه الى انه من فئة التجار هذه انبثقت مجموعة من المرابين المغاربة، حيث ان نشاطهم شكل كارثة كبرى بالنسبة للمجتمع المغربي الذى يعاني منذ مدة من المرابين الاوربيين . والفئات الشعبية التي هي الضحية لكل هذه الاعتداءات حيث سيتدهور مستواها المعاشي اكثر، وسيصل الى حدود غير مقبولة بالقدر الذى لن يسمح بتشكيل سوق تناسب طموحات البرجوازية التجارية المغربية .

ومما سبق يمكن ان نستخلص خلاصتين اساسيتين :

١) ان الكفاح في المغرب منذ عقد الحماية كان كفاحا وطنيا واجتماعيا، بحكم طبيعة الاطراف المتنازعة .

٢) ان تبنى المطالب الشعبية من طرف البرجوازية المدينية املته المصالح الانية لهذه البرجوازية .

لقد وجدت فئة التجار المغاربة نفسها منذ تمكنها من قيادة الحركة الوطنية في الثلاثينات، في مواجهة حماس شعبي منقطع النظير، يتجاوز بكثير تطلعاتها التكتيكية، بل قد يهدد مصالحها الحيوية، واذا ما اتبعت فئة التجار هذا الحماس الشعبي ستهدد مركزها القيادى للحركة الوطنية . وليس من قبيل المصادرة ان نستخلص كون مطالب الحركة الوطنية تطابق مصالح التجار بطريقة مباشرة او غير مباشرة، وستتبلور حول عدد من المبادئ كحرية التجمع والتعبير وضمان الحقوق الفردية واصلاح الجهاز الادارى، والنظام القضائي والهياكل الاقتصادية والمالية، والمساواة بين

---

٢٤ G. Maxwell, op. cité, p. 158

(٢٥) احمد تفاسكا ، مصدر سابق ، ص ٥٠ ، ٥٢ و ٥٧ .

العمال المغاربة والاوربيين في ميدان الاجور واصلاح تشريع العمل والحرية النقابية، وكذا خلق هياكل تمثيلية للعمال داخل المؤسسات.

ان الحركة الوطنية التي استعملت في البداية الشارع كميدان للمواجهة مع الحماية عبر المظاهرات الشعبية الضخمة العفوية او المنظمة، وجدت نفسها امام التصاعد الذى ستعرفه هذه المظاهرات والمخاطر التي ستسفر عنها خاصة بعد مظاهرات يناير ١٩٤٤ (٢٧)، مجبرة على عدم اجازة اعمال عنيفة، وهكذا فضلت قيادة حزب الاستقلال التي شكلت سنة ١٩٤٣ حصر عملية الانضمام الى حزب الجماهير الشعبية انصار العمل المسلح، ودام هذا الاختيار حتى سنة ١٩٤٧ حيث قررت قيادة حزب الاستقلال فتح الحزب امام الطبقات الاجتماعية خاصة الطبقة العاملة التي استقطبتها النقابات الموجهة من طرف مناضلين شيوعيين (٢٨).

وفي ٣١ دجنبر ١٩٤٤ بلغ عدد العمال المغاربة المنقبين ٣٠٠٠٠ عاملا، اى ٣/٥ من مجموع العمال النقابيين، وستصل هذه النسبة سنة ١٩٤٨ الى ٣/٢ (٢٩).

ان هذه الطبقة الاجتماعية الجديدة التي اجبر الحزب على فتح ابوابه امامها انبثقت في معظمها بل كلها من البادية (حيث اصبحت ظروف الحياة في البادية صعبة للغاية بفعل سياسة الاستعمار، والمضاعفة بقمع متصاعد). وهذه اليد العاملة الرخيصة تركزت في ضواحي المدن الكبيرة وتسببت في ظهور الاحياء الشعبية. ان مصالح هذه الطبقة الجديدة التي انتزعت منها ثرواتها، والتي تبدو احيانا يـــائـــســـة ، ستجد ان مصالحها تلتقي حتما بالمصالح الانية لفئة التجار التي "ادركت بسرعة ان خلاصها

---

(٢٧) ١١ يناير ١٩٤٤، قدم حزب الاستقلال وثيقة المطالبة بالاستقلال وعلى الرغم من التأكيدات المقدمة من طرف الحزب، والتي تعبر عن ارادته الحسنة وعن رفضه لمختلف اشكال العنف، فقد اقحمت ادارة الحماية بوليسها في مختلف مستويات الحزب، واتهمت بعض العناصر من حزب الاستقلال بتعاونها مع النازيين. القواعد الشعبية ردت عن هذه الحملات بمظاهرات عمت شوارع مختلف المدن، توجت بمذبحة رهيبة من قبل قوات الاحتلال.

(٢٨) حسب البير عياش، فان التطور الكمي للطبقة العاملة المغربية هو كما يلي: ١٩٢٩، ما يزيد على ١٠٠٠٠٠ عامل، في عام ١٩٣٨، ٢٠٠٠٠٠ عامل، في سنة ١٩٥٢، ما يزيد على ٤٥٠٠٠٠ عامل، موزعة كالآتي: ١٠٠٠٠ عامل فلاحي، و ١٠٠٠٠٠ عامل في البناء والاشغال العامة و ١٨٠٠٠٠ في الصناعة والمعادن والنقل، و ٨٠٠٠٠ في الخدمات الحرة. انظر

٢٨ « Communication au colloque sur la classe ouvrière dans le monde, organisé par le Bureau arabe du Travail, Alger, Décembre 1978, Document dactylographié, page 2.

(٢٩) نفس المصدر، ص ٠٩.

يرتبط بتفكيك جهاز الحماية ونزع المصالح الاجنبية (٣٠) . لكن التقاء هذه المصالح كان يخفي خلافا عميقا حول وسائل العمل للوصول الى الهدف المشترك (٣١)، وفعلا لقد بلغت هذه الكتلة المثابرة اثناء مرحلة ما بعد الحرب وعيا سياسيا مرتفعا بفعل نوع من الليونة في سياسة الاقامة وبفعل العمل النقابي الذى اعطى لهذه الشرائح نوعا من التجربة في تنظيم الكفاح الاجتماعي والتأثير الممارس عليها من طرف الكفاح الوطني في الشرق الاوسط وآسيا . والثقة في العمل المسلح أخذت تشق طريقها . وقد وجد هذا الوعي تبريره في السياسة العنيفة للجنرال جوان الذى خلف "اريك لابون "Eric Labonne .

---

## المقاومة المسلحة في المدن

---

ان فكرة العمل المسلح بدأت في الظهور في احضان قاعدة حزب الاستقلال في نهاية الاربعينات حيث ان اجهزة الحزب على المستوى المحلي والوطني كانت تناهض اى عمل مسلح . وفي الوقت الذى كانت فيه ادارة الحماية تتشدد في سياستها، فان الاتجاهين داخل حزب الاستقلال كانا مقتنعان بصحة مواقفهما، فالاول يرى ان العمل المسلح هو رد الفعل الوحيد المناسب على العنف الاستعمارى، والثاني على العكس يرى ان اى عمل مسلح سيعطي المبرر لادارة الحماية لتفكيك الحركة الوطنية .

والخلاف بين الاتجاهين كان غير قابل للرأب، فأنصار الكفاح المسلح لم يكن امامهم من اختيار سوى تحقيق خيارهم بالرغم من معارضة هيئات الحزب العليا . وقد تجلت يقظتهم منذ البداية سواء تجاه الامن الفرنسي او تجاه زعماء الحزب . وحاول هؤلاء تنحية العناصر "المغامرة" وغير المراقبة من الحزب . ولقد تقوت الريبة مع مذبحة ١٩٥٢ (٣٢) .

---

٣٠ G. Waterburry, op. cité p. 126

(٣١) ساهم العمال بفعالية في اضراب يونيو ١٩٣٦، ونشطوا في احتلال المعامل . هذه المشاركة كانت بدافع الشعور الوطني اكثر من كونها كانت بدافع الوعي الطبقي . انظر حول هذه الاضرابات

٣١ voir A. Ayache « Les grèves de juin 1936 ». Ann. Ec. Soc. Civi. Juillet - Septembre 1957, pp. 418 - 429.

(٣٢) ٧ دجنبر ١٩٥٢، انطلقت المظاهرات في الدار البيضاء منددة باغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد، وقد اطلق الجيش الرصاص على هذه التظاهرات، الامر الذى نتج عنه سقوط مئات من القتلى والجرحى وتفرقة الاحزاب الوطنية، والنقابات، واعتقال اعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال . والتي عوضت بلجنة تنفيذية اكثر ميلا الى العنف من سابقتها .

وهذا الوضع المتوتر بين الاتجاهين شكل عقبة امام اى تنسيق بين انصار الكفاح المسلح داخل نفس المدينة وبين المدن، فكل واحد يرتاب في الآخر، بحيث ان العمل الفردى سيصير الشكل الرئيسي للكفاح المسلح داخل المدن في هذه المرحلة. وهذا الانحراف كان نتيجة لغياب اية تجربة في ميدان التنظيم السرى. وستتحقق هذه التجربة بالممارسة. ان احد مظاهر غياب هذه التجربة سيتجلى من خلال مطالبة عدة منظمات بقيادة المقاومة. وكل من هذه المنظمات كانت تعتقد انها (محور = مركز) المقاومة الوطنية. وكانت هذه المنظمات تتكون من عدد صغير من المناضلين لا يتجاوز في العموم عدد اعضاء الخلية اى من اربعة الى خمسة اشخاص، ويحملون اما اسماء الاشخاص المؤسسين او اسم احد الشهداء (٣٣) او اسم شخصية وطنية (٣٤)، او شخصيات اسلامية مثل منظمة "ابو بكر الصديق". بينما حملت منظمات اخرى اسماء مثل المنظمة السرية، والهلال الاسود، واليد السوداء، واسود التحرير (٣٥).

ولقد حاولت كل من هذه المنظمات جذب المنظمات الاخرى اليها، او العناصر المعزولة بدون اخذ بعين الاعتبار انتماءاتها السياسية شرط عدم العمل في الاحزاب لاسباب امنية ولتحقيق الانسجام في التنظيم المبني على الاخلاص الكامل للتنظيم من اجل تحرير البلاد، والدفاع عن الاسلام وعودة الملك محمد بن يوسف (٣٦).

لقد تسبب غياب الاتصال بين هذه المنظمات في فقدان التنسيق بينها في مجال العمليات، والتنسيق اذن كان غائبا، الشئ الذى اجبر بعض المنظمات على القيام بعمليات في بعض المدن التي ليس لهم فيها مناضلين او قواعد لوجيستيكية، دون امكانية الاعتماد على منظمات اخرى (٣٧)، او الهجوم على نفس الهدف بشراكة مع عناصر اخرى تنتمي لمنظمات مختلفة، دون اى تنسيق مسبق. والخطير في الامر هو ان بعض العناصر المغربية داخل

---

(٣٣) تنظيم "حمان الفطواكي" في مراكش، تنظيم "بنشقرون" بفاس، تنظيم الحاج البقال بمراكش... الخ.

(٣٤) تنظيم محمد الخامس، تنظيم المناصرين لمحمد الخامس... الخ.

(٣٥) جبايدى لطيفة، المصدر السابق، ص ١١٧ الى ١٢٣ – ١٢٩ و ١٣١ الى ١٣٣.
– الورديغي، مصدر سابق ص ٣١ – ٨٩ – ٩١ الى ٩٢ – ص ٩٤ – ٩٥.

(٣٦) "التنظيم السرى" اغلبيته من حزب الاستقلال، بيد ان "الهلال الاسود" كان يتألف من مناضلين ينتمون الى الحزب الديمقراطي للاستقلال، والحزب الشيوعي المغربي.

(٣٧) "التنظيم السرى" كان يخطط لاغتيال ابن عرفة، قصد اعاقة الانقلاب على محمد بن يوسف، العناصر المكلفة بهذه المهمة اتيحت لهم الفرصة في فاس، لكن النقص في العتاد جعلهم يعودون ادراجهم الى مدينة الدار البيضاء.

الشرطة والمعتبرين كخونة من طرف المقاومين اعدموا لهذا السبب، بينما كانوا مخبرين وعاطفين على حركة اخرى (٣٨).

ان منظمات المقاومة في مجموعها، عرفت مشاكل ثلاثة اساسية، مالية ومادية وتأطيرية. فالمشكل الاول تم حله جزئيا باكتتابات تطوعية أو تحت الاكراه للتجار والاغنياء. ولمواجهة المشكل الثاني، استعملوا مختلف الوسائل، الاسلحة النارية والخناجر (بالنسبة للتنفيذ)، والمعاول (بالنسبة للتخريب) والبنزين (بالنسبة للحرائق)، وقد صقلت بعض المنظمات وسائل اعضائها (٣٩) دون اهمال الوسائل المأخوذة من العدو خلال السرقات التي قامت بها عناصر خبيرة بالمقاومة وتعمل مع الجيش والشرطة الفرنسية.

الشبكة الاخرى للاقتناء والاكثر اهمية، هي بطبيعة الحال تشكيل شبكة لشراء الاسلحة وايصالها من الخارج عبر المناطق الاسبانية في شمال وجنوب المغرب.

ان الصعوبة الكبرى التي اعترضت المقاومة هي التأطير، لان اغلبية العناصر المثقفة في الحركة الوطنية كانت في صالح الحل السياسي، بينما العناصر التي اطرت المقاومة، تكونت في الكتاتيب القرآنية ان لم تكن امية. اقلية ضئيلة درست في جامعة محمد بن يوسف التقليدية، بعد ان مرت عبر الكتاتيب القرآنية، وعواقب هذه المشاكل اختلفت من منظمة لاخرى. وقد استطاعت بعض المنظمات الصمود امام القمع بتحسين وسائلها التقنية والتكيف مع الاوضاع الجديدة للكفاح الوطني، بينما قضت منظمات اخرى منذ المواجهات الاولى مع قوات الامن (٤٠).

حوالي نهاية سنة ١٩٥٤ وبداية ١٩٥٥ كانت المقاومة المسلحة في المدن من عمل حركتين: المنظمة السرية، الاكثر اهمية، و"الهلال الاسود". ومع مجيء "دى كرنفال De Cranval" (يونيو ١٩٥٥ – غشت ١٩٥٥) ظهر المقاومون المعزولون.

---

(٣٨) المعطيات المتوفرة عن هذه التنظيمات، لا تتيح امكانية ابراز الهيكلة التنظيمية، واذ فشلت التنظيمات البوليسية في تفكيك هذه التنظيمات فمرد ذلك لا يعود الى فعالية بنيتها، اكثر مما يرجع الى رفض الشعب التعامل مع البوليس بهذا الصدد.

(٣٩) الكهربائي متخصص في الجزء الكهربائي من المتفجرات، عامل الورش متخصص في البارود، الراصصي متخصص في صنع الجزء الحديدى للمتفجر.

(٤٠) انظر الورديغي، مصدر سابق ص ٩١ و ٩٢، ايضا جبايدى، مصدر سابق، ص ١٢٣، ومجلة المقاومة وجيش التحرير، الرباط عدد ١، غشت ١٩٨٠، ص ٢٣ – ٢٧.

لقد كان جيش التحرير مكونا من عناصر المقاومة في المدن، واللاجئين من المناطق الشمالية الرازحة تحت الاحتلال للاسباني. ونتيجة لهذا، فان قيادة اركان جيش التحرير، كانت تعكس نفس مميزات المقاومة من حيث الانتماء الاجتماعي والمستوى الاقتصادى ومستوى التعليم. على الاقل لقد استقطب جيش التحرير المغربي عناصر ذات تكوين جامعي او درست في التعليم الحديث كالدكتور الخطيب والدكتور بنجلون عبد اللطيف والدكتور بن عبود وعبد الكبير الفاسي والغالي العراقي وحسين برادة. وهذه العناصر كانت عضوة في لجنة مكلفة بتمثيل جيش التحرير في الخارج، ومركز المساندة المادية لجيش التحرير، وشراء السلاح (٤١). بينما كانت قاعدة جيش التحرير مكونة من الفلاحين.

لقد كانت قيادة الأركان المكونة من خمسة وعشرين عضوا، مهيمنا عليها من طرف العناصر الآتية من القطاع التجارى، او المهن الليبرالية، لقد وجدت نفسها منذ ميلاد جيش التحرير في خريف ١٩٥٥ في مواجهة مشكل تدريب وتاطير وحدات جيش التحرير. وتفاقم هذا المشكل بفعل الغياب الكامل للمعارف والخبرات العسكرية على جميع المستويات، وحماس الفلاحين للالتحاق بصفوفه. لقد فرض جيش التحرير على اعضائه عدم الانتماء الى الاحزاب السياسية، وحدد كهدف، الاستقلال وعودة الملك المنفي.

ان تطور جيش التحرير مع انه كان سريعا، فانه كان متجاوزا بالتطور السياسي السريع للمسألة المغربية. ومع فتح مفاوضات ايكس ليبان، وجد جيش التحرير نفسه امام معضلة، فاما ان الاستقلال وفق سياق ايكس ليبان حيث كان غائبا، بمعنى ان يضع حدا للكفاح المسلح او يواصله حتى تحرير وتوحيد البلاد. لقد فسر جيش التحرير في وثيقة الخيار الثاني للحقائق التالية:

١) لحماس الشعب المغربي لتحرير المناطق الخاضعة للاحتلال الاستعمارى.

٢) اعتراف فرنسا بتطلعات الحركة الوطنية من اجل الاستقلال.

٣) عزلة فرنسا على المستوى الدولي.

٤) استغلال العلاقات بين اسبانيا والحركة الوطنية المغربية من جهة، والتناقضات بين فرنسا واسبانيا من جهة اخرى.

٥) استعداد الصحراويين للانضمام الى المغرب بعد حصول جزء من البلاد على الاستقلال.

لم يتم الحصول على الاجماع حول هذين الخيارين. ونتيجة لذلك، فان

---

٤١ J. Waterburry, op. cité, p. 232

جيش التحرير أنقسم الى تيارين، الاول كان يريد مواصلة الكفاح المسلح، والثاني يرى استبدال العمل المسلح بالعمل السياسي وحل المشاكل المعلقة مع فرنسا واسبانيا. ان الخلافات ولو انها شكلية، فان اهميتها ليست قليلة. الاغلبية الكبرى لجيش التحرير ستلتحق بالحياة المدنية او صفوف الجيش الملكي المكون بعد الاستقلال. وفي المقابل ستتوجه اقلية مكونة من ٣٦٠ رجلا نحو جنوب المغرب لتقيم في مناطقه نواة جيش تحرير الصحراء. وهذه المجموعة كانت مقسمة الى ثلاث وحدات. الاولى تحت قيادة المنوزى وتوجهت نحو عين الشعير، والثانية تحت قيادة الحاج بوبو نحو فكيك، والثالثة تحت قيادة بن حمو نحو الجنوب درعة والتي اجتازها في صيف ١٩٥٦ لتشكيل جيش تحرير الساقية الحمراء ووادى الذهب وفي موريطانيا وستتعزز صفوفه لتصل ٥٠٠٠ رجلا.

لقد كان جيش التحرير يسعى في البداية الى تحييد اسبانيا، من خلال تركيز نشاطه ضد القوات الفرنسية في موريطانيا، الموقف الذى لم تسمح به فرنسا. لقد وجدت اسبانيا نفسها مدفوعة تحت ضغط فرنسا الى تحالف عسكرى فرنسي اسباني ضد جيش التحرير المغربي. وكان رد فعل جيش التحرير على هذا التحالف هو اعلان الحرب على اسبانيا، حيث تدخل عسكريا في ابريل ١٩٥٧ لمساندة انتفاضة سكان باعمران، ومني الجيش الاسباني بهزيمة منكرة، وفقد مراقبته لهذه المنطقة (٤٢)، وبفعل هذا الانتصار، اجبر جيش التحرير المغربي القوات الاسبانية في الساقية الحمراء ووادى الذهب على الانسحاب من هذه المناطق والتمركز في مدينتي العيون والداخلة.

ومع ذلك فان جيش التحرير المغربي لم يكن بمقدوره الدفاع عن هذه المناطق المحررة امام التحالف الاسباني المغربي.

ان تنظيم جيش التحرير يستند على "الطليعة" كوحدة اساسية. وتتكون من ١١ رجلا يتراسهم "قائد الطليعة"، ثم تأتي "قيادة الثلاثين" وتتكون من ثلاثين رجلا يترأسهم قائد ومساعد تابع له، ثم تأتي "قيادة المائة" وتتكون من ١٠٠ رجل يتراسهم "قائد المائة" ومساعد تابع له، وتكون ثلاث "قيادات للمائة" "قيادة الرحى" وفي نفس الوقت يكون المسؤول الجهوى عضوا في قيادة الاركان، وعلى المستوى الادارى، تتكون بنية جيش التحرير من قيادة الاركان في القمة، وترتبط بعدة مرافق كالاتصالات والنقل والمواصلات والعمليات العسكرية والانشطة السياسية. وفي صيف ١٩٥٨، وتحت تأثير الحرب، كانت الصحراء مقسمة الى ثلاثة مناطق: المنطقة الشرقية، والمنطقة الوسطى والمنطقة الغربية، وكل منطقة تنقسم الى مقاطعات، وفي هذا الهيكل الجديد، توجد قيادة الاركان في القمة، وتوجه اربعة مكاتب مالية وسياسية وعسكرية والشؤون الجنائية. وتشكل هذه المكاتب الاربعة القسم الادارى

---

(٤٢) حسب احصائيات الجيش الاسباني خسر في معركة آيت باعمران ما بين ١٠٠٠ قتيل وجريح.

الذى يربط قيادة الاركان بالمناطق . ويتكون هذا القسم من سبعة مكاتب : المحاسبة العامة، الشؤون العسكرية، التموين، الشؤون المدنية، الاتصالات، مكتب الضبط والبريد . ويمثل هذا القسم على مستوى المنطقة والمقاطعة، ويشغل ٣٢ شخصا، ١٥ منهم في المقر العام لقيادة الاركان .

لقد حدد جيش التحرير المغربي كهدف له، محاربة الفوارق التي تستند على الاعتبارات العرقية او الاقليمية، والفقر وضمان التعليم لاطفال المنطقة بفتح مدارس لهم في اكادير وتفراوت والدار البيضاء، في نفس الوقت الذى يقود فيه الكفاح المسلح لتحرير هذه المناطق . غير أن الوسائل المالية والمادية القليلة، ستقف حجر عثرة امام هذه المهمة المزدوجة لجيش التحرير المغربي . وفي حوالي نهاية ١٩٥٨، كان تسليح جيش التحرير المغربي متواضعا جدا وبعيدا عن المقارنة مع الذى يملكه اعدائه . ان الوضعية السياسية في المغرب طيلة السنوات الاولى للاستقلال ضاعفت مشاكل جيش التحرير المغربي باخضاعه لتأثير الوضعية السياسية، الشيء الذى ادى الى حله قبل نهاية سنة ١٩٥٩ وبداية سنة ١٩٦٠ .

احمد تفاسكا



